مسلمو بولونيا ورومانيا وبلغاريا

عن مجلة الابحاث الاسلامية الباريزية ، بقلم الم. أندري بونامي

يوجد ستة آلاف من المسلمين تقريبا ببولونيا مجتمعين بناحية فيلنو (Wilno) ونفوكروديك (Novogrodek) والفان بكوناس (Kaunas) بلتيانيا ومثل ذلك بمنسك (Minsk) بروسيا السوفياتية وبالرغم عن قرابة مسلمي بولونيا لاخوانهم بكوناس ومنسك لم يبق لهم اتصال بهم نعم فبعد النزاع اللتياني البولوني انفصمت العلائق بين مدينتي فيلنو وكوناس مع انه لاتبعد احداهما عن الاخرى الا بمائتي كيلو متر اما جماعة منسك فقد الزمتها حكومة السوفييت الانعزال وحجرت على افرادها المواصلة مع اخوانهم بفيلنو ولو بطريق المكاتبة وان خالفوا لحقتهم العقوبات الشديدة

ان المسلمين البولونيين بعضهم من تتار القرم (Crimée) والقوقاز وبعضهم من التتار الذين قدموا من آسيا في عهد جانكيز خان. وقد هاجر افراد منهم الى بلونيا اختياريا ولكن الاغلبية من سلالة اسرى الحرب الذين قبض عليهم الدوق الكبير ميطولد(Witold)حين غزواته بالسهول الجنوبية وقد اقيموا بتلك البلاد في آخر القرن الخامس عشر واقطعهم ملوك بلونيا ارضين. وفي سنة ١٤١٠ شاركوا في معركة اكرانوالد (Grinwald) الشهيرة وامتازوا بشجاعتهم وشهامتهم وذلك تحت زعيمهم الامير جلال الدين وهذا حادث تاريخي يعجبهم تذكيره ومنذ ذلك الحين لم يتزحزح المسلمون عن هذا السنن وامدوا بولونيا على الدوام برجال شهام مخلصين

وكثير من هؤلاء التتار تزوجوا في هذه البلاد وصارت رفيقاتهم مسلمات ومن المحقق انهم كلهم من اصل شريف وان كل عائلة منهم تحافظ بكل افتخار على شعار اجدادها وهم الان من الطبقة المتوسطة وقليل منهم اغنياء ولكنهم كلهم ذوو سعة يسيرة ولا زال عدد عديد منهم مالكين للاراضي التي كان اعطاها ملوك بلونيا لاجدادهم وما بعض الافراد بالبادية الا مطلق اصحاب ضيع ؛ اما النخبة المتنورة فانها ترغب في المهن الحرة او الوظائف الحكومية والقضاء ورتب الضباط في الجيش البولوني ولا يتجر منهم احد ومما يلاحظ انه قبل الحرب كان الباب مفتوحا على مصراعيه في وجه التتار البلونيين للولوج في سلك ضباط جيوش القيصر وفي سنة ١٩١٤ كان اربعة جنرالات الجيش من التتار البلولونيين وكولونيل خيالة الحرس ببطرهوف (Peterhof) كان من تتار فيلنو وبعد الثورة الروسية نظموا سريّة من بينهم وقاتلوا في الصفوف البولونية ضد البولشفيك.

وهذه الجماعة الضئيلة التتارية متعلقة اليوم اشد التعلق بالامة البولونية على ان اعضاءها لايتكلمون الا باللغة البولونية اما تتار فيلنوا — وهم اقلية تافهة مندمجة في الشعب البلوني — في حين انهم طبقوا الاسلام على الحياة الغربية فقد حافظوا على المبادىء العامة للدين المحمدي ولهم ١٦ مسجداً بناحية فيلنوا منها واحد بمدينة فيلنوا نفسها

ومسجد فيلنوا هذا مشيد من الخشب ورغماً عن بساطته فانه نظيف مجهز اتم تجهيز وفي نيتهم تشييد مسجد بفرسوفيا ويهتمون بجمع الدراهم اللازمة وقد انعم عليهم الملك فؤاد بعشرين الف زلوتي (Zloty) اي ستين الف فرنك تقريباً.

واما صيام رمضان فلا يحافظ عليه تمام المحافظة الا القليل. وفي يوم الجمعة يتوجهون رجالا ونساء الى المسجد وقد ادى بعض الافراد منهم فريضة الحج ومن جملتهم المفتي الحالي بفيلنو السيد يعقوب سزنكيويكز (Yacob Synkiewiez) المستشرق المعتبر

ولكل مسجد امام ومؤذن يتقاضيان اجرتهما من ميزانية الدولة ويقوم الاول كذلك بوظيف قاض تحت مراقبة المفتي وتقام الصلاة بالعربية اما الخطبة فتلقى باللغة البولونية.

ويشرب التتار البلونيون الخمر ولكن بعضهم من الوسط المتطور يجتنبون ذلك ولا احد منهم ياكل لحم الخنزير.

ويلوح ان هؤلاء المسلمين يستعملون فيما بينهم الاعانة المتبادلة وهي نوع عصري من انواع الصدقة

وتعليم القرءان عندهم ضئيل فلا مدارس يقرأ فيها. وغاية ما هنالك ان الاطفال يوجهون للمدرسة في السادسة من عمرهم ليتعلموا المبادى الدينية وعلى اي حال لايحفظ القرءان عن ظهر قلب كما هو جار به العمل في كثير من البلاد الاسلامية وقي البوادي يتمادون على حفظ الابجدية العربية ولا زال بعضهم اليوم يكتبون البولونية بالحروف العربية فقد وقعت تحت بصري وصية محررة بالبولونية ومكتوبة بالحروف العربية

اذا استثنينا بعض العلماء الذين اخذوا دروسهم بالقاهرة ومن جملتهم مفتي فيلنو فلا نجد من يفهم العربية التي صارت عندهم لغة دينية كاللتينية عندنا على ان القرءان ترجم الى اللغة الوطنية ولكن هذه الترجمة انما هي في الحقيقة مجرد نقل الترجمة الفرنساوية لصاحبها كازيمرسكي (Kazimirski) الي اللغة البولونية وقد اخذ الان الدكتور يعقوب سزنكيويكز يترجمه رأساً من العربية الى البولونية

ويوجد بفرسوفياوفيلنو معاهد حرة تعينها الحكومة وتدرس فيها العلوم الاجتماعية الاسلامية وكذا اللغات التركية والفارسية والعربية والصينية واليابانية ولكن المقصود منها دراسة عالية تشابه تعليم مدرستنا الوطنية للغات الشرقية بباريز

وحالة التتار البولونيين خاصة من الوجهة الشرعية فالحكومة القيصرية التي كانت تبرهن عن تسامحها الكبير فيما يرجع للدين كانت اذنت لهم في المحافظة على قانونهم الشخصي وحيث ان القانون المدني الروسي للنظام القديم لازال جارياً به العمل بولايات الشمال الشرقي فالفقه الاسلامي هو الذي يطبق على قانونهم المذكور وعلى هذا فيمكن للتتار البلوني ان يعدد زوجاته ولكن هذا تلاشى منذ قرون وكل المسائل المتعلقة بالتركات والزواج والطلاق يفصلها الائمة القائمون بوظيف القضاء الا اذا اختار الخصوم ان يلجؤا الى القانون البولوني

ان التتار البولونيين كسائر المسلمين الاروبيين يتبعون المذهب الحنفي

هذا وان زمرة المسلمين البولونيين رغماً عن كونها اقلية نزرة فانها تعد وسطاً ادبياً عاملا جداً فقد طبعوا بفيلنوا عدداً عديداً من التصانيف والتآليف في تاريخهم ومنازعهم وهم ابناء مخلصون لدولتهم ويعطفون عطفاً شديداً على فرنسا التي تعامل بالتسامح رعاياها المسلمين الكثيرين.

(يتبع) المعرب